خطبةالجمعة بعنوان : {المواساةُ عِنْدَ الْفَقْدِ}

﴿الخُطْبَةُ الأُوْلَى﴾

الْحمْدُ للهِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، خَالِقِ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ، جاعِلِ لِكُلِّ شَيْءٍ عُمُرًا يُعَدُّ، قَضَى سُبْحانَهُ بِفَناءِ كُلِّ حَيٍّ، فَلَنْ يَبْقَى وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ، وَلَا يَدُومُ فَقْرٌ وَلَا رَغَدٌ، وَسَنُرَدُّ جَمِيعًا إِلَى مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ، وَيُدْرِكُ كُلُّ زارِعٍ ما حَصَدَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَنَا بِالصَّبْرِ وَإِنْ نَفَدَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إمامُ الصَّابِرِينَ، أَدَّبَهُ رَبُّهُ وَزَكَّاهُ، وَجَعَلَ الْقُرْآنَ خُلُقَهُ وَهُداهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الميامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَإِيمانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾وَاعْلَمُوا أَنَّما الْحَياةُ الدُّنْيا مَتَاعٌ وَكَبَدٌ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ وَالْأَبَدِ.

أَمَّا بَعْدُ عِبادَ اللهِ: ﴿تبارك ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ () ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ والْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حالٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حالِ أَهْلِ النَّارِ، نَبِيُّنا ﷺ ما تَرَكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَّا دَلَّنا عَلَيْهِ وَمَا تَرَكَ مِنْ شَرٍّ إِلَّا نَهانَا وَحَذَّرَنا مِنْهُ، قالَ ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، فَاحْتَسَبَهُمْ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ جابِرٌ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاثْنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ. قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ: فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: أُرَاكُمْ لَوْ قُلْتُمْ (وَاحِدٌ) لَقَالَ: وَاحِدٌ)؟ قَالَ: وَأَنَا -وَاللهِ- أَظُنُّ ذَلِكَ».

وَما الْمالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدائِعُ *** وَلَا بُدَ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدائِعُ

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جارِي***وَالنَّفْسُ إِنْ رَضِـيَتْ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ

ما هَذِهِ الدُّنْيا بِدارِ قَرارِ***مُنْقـــادَةٌ بِأَزِمَّـــةِ الْأَقْـــدارِ

مِنْ أَعْظَمِ الْفَقْدِ فَقْدُ الْوَلَدِ؛ فَلْذَةُ الْكَبِدِ وَثَمَرَةُ الْفُؤَادِ، لَا يُطِيقُها، وَلَا يَصْبِرُ فِي فِتْنَتِها وَابْتِلائِها إِلَّا مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالثَّباتِ وَالْيَقِينِ، وَأَفاضَ عَلَى نَفْسِهِ إِيْمانًا وَصَبْرًا وَاحْتِسابًا، فَنَحْنُ مَمْلُوكُونَ لِلَّهِ، مُدَبَّرُونَ تَحْتَ أَمْرِهِ، وَتَصْرِيفِهِ، فَلَيْسَ لَنا مِنْ أَنْفُسِنا وَأَوْلادِنا، وَأَمْوالِنا شَيْءٌ، وَرَبُّنا أَرْحَمُ بِنا مِنْ أَنْفُسِنا وَأُمَّهاتِنا، فَتَدْبِيرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ لَنا وَإِنْ لَمْ نَشْعُرْ بِذَلِكَ.

عِبادَ اللهِ: الدُّنْيا لا تَنْفَكُّ عَنِ ابْتِلاءٍ، ولَنَا فِي كِتابِ رَبِّنا عِلاجٌ لِمَصائِبِ الدُّنْيا، لَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ () ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ () أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ وَيَقُولُ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾

وَقَدْ جَعَلَ سُبْحانَهُ عَظِيمَ الْأَجْرِ مَعَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَالِاحْتِسابِ عِنْدَ المصائِبِ، وَمَنْ سَخِطَ وَجَزِعَ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا السَّخَطُ، وَلَنْ يُغَيِّرَ مِنْ أَقْدارِ اللهِ شَيْئًا؛ فَوَجَبَ عَلَيْنا الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ وَالرِّضَا بِقَضاءِ رَبِّنا، بَلْ وَالْحَمْدُ، فَسُبْحانَهُ وَحْدَهُ المسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ عَلَى كُلِّ حالٍ، فَمَنْ وُفِّقَ لِلصَّبْرِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَواقِفِ الْأَلِيمَةِ كانَ داخِلًا فِي الْمُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ، الرَّاضِينَ بِقَضاءِ رَبِّهِمْ، الْفَائِزِينَ بِالْغُفْرانِ وَالرِّضْوانِ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ: ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أَيِ الثَّناءُ الْحَسَنُ وَالْمَغْفِرَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ، وَالْعِصْمَةُ مِنَ الْمَعْصِيةِ، وَالتَّوْفِيقُ لِلطَّاعَةِ، وَتَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الرَّحَماتُ الْعَظِيمَةُ، وَمِنْ هَذِهِ الرَّحَماتِ: تَوْفِيقُهُمْ لِلصَّبْرِ الَّذِي اسْتَحَقُّوا بِهِ كَمالَ الْأَجْرِ، وَكَشْفُ الْكُرَبِ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَقَضاءُ حَوائِجِهِمْ، وَاسْتَحَقُّوا مَحَبَّةَ اللهِ لَهُمْ بِما صَبَرُوا ﴿واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، وَاسْتَحَقُّوا مَعِيَّةَ اللهِ ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ثُمَّ كَمُلَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْهِمْ: ﴿وَأُولَـئِكَ هُمُ الْـمُهْتَدُونَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا الْحَقَّ فَآمَنُوا بِهِ، وَاتَّبَعُوهُ، وَعَمِلُوا بِمُقْتَضاهُ، وَكانَ صَبْرُهُمْ بِشارَةً لَهُمْ بِالْأَمْنِ مِنْ عَذابِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَالْفَوْزِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ وَيُعْطَوْنَ أَجْرَهُمْ بِلَا حِسابٍ وَلَا حَدٍّ وَلا عَدٍّ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

اِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ الْمَصائِبَ مَكْتُوبَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ الْخَلْقَ قالَ تَعالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِير () لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَالله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»

فَكُلُّ ما يُصِيبُ الْعَبْدَ يَقَعُ بِقَضاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَقَدْ سَبَقَ ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ سُبْحانَهُ، وَجَرَى بِهِ قَلَمُهُ، وَنَفَذَتْ بِهِ مَشِيئَتُهُ، وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ، فَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ الْعَبْدُ المؤْمِنُ اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ عِنْدَ المصائِبِ، وَرَزَقَهُ اللهُ الثَّباتَ عِنْدَ وُرُودِها، وَالْقِيامَ بِمُوجِبِ الصَّبْرِ، فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ ثَوابٌ عاجِلٌ، مَعَ ما يَدَّخِرُهُ اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

عِبادَ اللهِ: إِنَّنا أَنْفُسَنا وَأَهْلَنا وَأَمْوالَنا وَأَوْلادَنا وَكُلَّ ما حَوْلَنا مِلْكٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقِيقَةً، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَنا عارِيَةً مُسْتَرَدَّةً، نَتَمَتَّعُ بِها إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَإِذا أَخَذَ شَيْئًا مِمَّا اسْتَوْدَعَهُ عِنْدَنا أَوْ أَخَذَهُ كُلَّهُ فَلَهُ سُبْحانَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ فَلِلْمُعِيرِ أَنْ يَسْتَرِدَّ عارِيَتَهُ مِنَ المسْتَعِيرِ مَتَى شاءَ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ وُجُودَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا مَحْفُوفٌ بِعَدَمَيْنِ عَدَمٌ قَبْلَهُ وَعَدَمٌ بَعْدَهُ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَياةُ الْأَبَدِيَّةُ الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ، فَلَسْنا مَنْ أَوْجَدَ الْأَشْياءَ مِنْ عَدَمٍ، وَلَسْنا مَنْ يَحْفَظُها مِنَ النُّقْصانِ؛ لِذَلِكَ لَسْنا مُلَّاكًا لَها عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ يَمْلِكُها وَيَتَصَرَّفُ فِيها الَّذِي أَوْجَدَها مِنَ الْعَدَمِ، وَيَحْفَظُها مِنَ النُّقْصانِ.

جَمِيعُ الْخَلْقِ حَتْمًا مُقْبِلُونَ فُرَادَى عَلَى رَبِّهِمْ، كَما خَلَقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَدْ قَضَى بذلك رَبُّنا فِي كِتابِهِ الْعَزِيزِ، قالَ تَعالَى: ﴿إِنْ كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا () لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا () وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ وَقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ فَكَيْفَ لِعَبْدٍ هَذِهِ بِدايَتُهُ وَنِهايَتُهُ وَحَقِيقَةُ وُجُودِهِ أَنْ يَطِيرَ قَلْبُهُ فَرَحًا بِمَوْجُودٍ، أَوْ أَنْ يَجْزَعَ لِمَفْقُودٍ؟! فَمِنْ أَعْظَمِ ما تُعالَجُ بِهِ المصائِبُ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ عِلْمَ الْيَقِينِ حَقِيقَةَ عُبُودِيَّتِهِ، وَأَنَّ ما أَصابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَما أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

لا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ****لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزَ يَوْمًا خَزَائِنُهُ

وَلَا سُلَيْمانَ إِذْ تَجْرِي الرِّياحُ لَهُ****أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ نَوافِلُهَا

حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلَا كَدَرٍ****يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي المالُ وَالْوَلَدُ

وَالْخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا****وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَها تَرِدُ

مِنْ كُلِّ صَوْبٍ إِلَيْها وَافِدٌ يَفِدُ****لَا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وَلَنا فِي سِيرَةِ نَبِيِّنا ﷺ عِلاجٌ لِلْمَصائِبِ

نَبِيُّنا ﷺ مِنْ أَشَدِّ الْأَنْبِياءِ بَلاءً، وَقَدْ تَحَمَّلَ ﷺ ما تَنُوءُ بِهِ الْجِبالُ، وَمِنْ ذَلِكَ: ماتَتْ زَوْجَتُهُ حَبِيبَتُهُ وَمُؤَيِّدَتُهُ، خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها، وَماتَ عَمُّهُ أَبُو طالِبٍ، ثُمَّ قُتِلَ عَمُّهُ حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمُثِّلَ بِجُثَّتِهِ فِي أُحُدٍ، ثُمَّ ماتَ أَوْلادُهُ كُلُّهُمْ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، ذَكَرُهُمْ وَأُنْثاهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاحِدًا تِلْوَ الْآخَرِ، فَما كانَ لِقَضاءِ رَبِّهِ إِلَّا صابِرًا مُحْتَسِبًا رَاضِيًا.

دَخَلَ الصَّحابَةُ مَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِبْرَاهِيمُ وَلَدُهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: «وَأَنْتَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقالَ: يا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقالَ ﷺ: إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا ما يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اِبْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ».

أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: «أَتُحِبُّهُ؟ فَقَالَ: أَحَبَّكَ اللهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَمَاتَ، فَفَقَدَهُ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: أَمَا يَسُرُّكَ أَنَّهُ لاَ تَأْتِي بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَسْتَفْتِحُهُ، إِلاَّ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى يَسْتَفْتِحَهُ لَكَ؟!، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لَكُمْ عَامَّةً».

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّهَا قَالَتْ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أْجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟! أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ»

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنا بِما فِيهِما مِنَ الْآياتِ وَالْحِكْمَةِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا.. وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِيْ قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِيْ أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى، وَأَشْهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيْقِهِمْ وَاقْتَفَى.

أَمَّا بَعدُ عِبادَ اللهِ: وَلَنا فِي قَصَصِ الصَّالِحِينَ عِنْدَ المصائِبِ عِبْرَةٌ

لَمَّا ماتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطَرِّفٍ، خَرَجَ أَبُوهُ (مُطَرِّفٌ) عَلَى قَوْمِهِ فِي ثِيابٍ حَسَنَةٍ، وَقَدِ ادَّهَنَ، فَغَضِبُوا، وَقالُوا لَهُ: يَمُوتُ وَلَدُكَ ثُمَّ تَخْرُجُ فِي ثِيابٍ مِثْلِ هَذِهِ مُدَّهِنًا؟! فَقَالَ لَهُمْ: أَفَأَسْتَكِينُ لَها؟! (يَعْنِي مُصِيبَةَ مَوْتِ ابْنِهِ)، لَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي تَبارَكَ وَتَعالَى ثَلاثَ خِصالٍ، كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيا وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها .. قالَ اللهُ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ هَذِهِ الْأُولَى، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ هَذِهِ الثَّانِيَةُ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ هَذِهِ الثَّالِثَةُ.

بَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما مَوْتُ بِنْتٍ لَهُ، وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَاسْتَرْجَعَ، وَقَالَ: عَوْرَةٌ سَتَرَها اللهُ، وَمَئُونَةٌ كَفَاهَا اللهُ، وَأَجْرٌ سَاقَهُ اللهُ. ثُمَّ تَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ وَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾، وَقالَ: قَدْ صَنَعْنا ما أَمَرَنا اللهُ تَعالَى بِهِ.

بَلَغَ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيّ ماتَ ابْنٌ لَهُ، فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا فَبَعَثَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: يا أَخِي عَزِّ نَفْسَكَ بِما تُعَزِّي بِهِ غَيْرَكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ فِعْلِكَ ما تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ فِعْلِ غَيْرِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَضَّ المصائِبِ فَقْدُ سُرُورٍ، وَحِرْمانُ أَجْرٍ، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَا مَعَ اكْتِسابِ وِزْرٍ؟! فَتَنَاوَلْ حَظَّكَ يا أَخِي إِذَا قَرُبَ مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبُهُ، وَقَدْ نَأَى عَنْكَ، أَلْهَمَكَ اللهُ عِنْدَ المصائِبِ صَبْرًا، وَأَحْرَزَ لَنا وَلَكَ بِالصَّبْرِ أَجْرًا، وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

إِنِّي مُعَزِّيكَ لا أَنِّي عَلَى ثِقَةٍ****فَمَا الْمُعَزَّى بِباقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ

مِنَ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ****وَلَا الْمُعَزِّي وَلَوْ عاشَا إِلَى حِيْنِ

ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِإِسْنادِهِ: لَمَّا شَعَرَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَكانَ بِأَرْضِ بابِلَ، كَتَبَ لِأُمِّهِ مُعَزِّيًا فِي ذَكاءٍ قائِلًا: يَا أُمَّاهُ، إِذَا جاءَكِ كِتابِي فَاصْنَعِي طَعامًا، وَاجْمَعِي مَنْ قَدِرْتِ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَأْكُلْ طَعامَكِ مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ. فَلَمَّا وَصَلَ كِتابُهُ صَنَعَتْ طَعامًا عَظِيمًا، وَجَمَعَتِ النَّاسَ، وَقالَتْ: لا يَأْكُلْ هَذَا مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ. فَلَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ إِلَى هَذَا الطَّعامِ، فَعَلِمَتْ مُرادَ ابْنِها، فَقالَتْ: بُنَيَّ، مَنْ مُبَلِّغُكَ عَنِّي أَنَّكَ وَعَظْتَنِي فَاتَّعَظْتُ وَعَزَّيْتَنِي فَتَعَزَّيْتُ فَعَلَيْكَ السَّلامُ حَيًّا وَمَيِّتًا.

قِيلَ ماتَ ابْنٌ لِداوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: يا دَاوُدُ ما كانَ يَعْدِلُ هَذا الْوَلَدُ عِنْدَكَ؟ قالَ: كانَ يَعْدِلُ عِنْدِي مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا. قالَ: فَلَكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدِي مِلْءُ الْأَرْضِ ثَوابًا. [تسْلِيَةُ نُفُوْسِ النِّسَاءِ والرِّجَالِ عِنْدَ فَقْدِ الأطْفَالِ: للحافظ عَبْدِ الرَّحْمَن بنِ رَجَبٍ ص 16].

كانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ صَبُورًا، أُبْتُلِيَ فِي يَوْمٍ واحِدٍ بِقَطْعِ رِجْلِهِ وَمَوْتِ وَلَدِهِ، فَما زادَ عَلَى أَنْ قالَ مُخاطِبًا رَبَّهُ: "لَئِنْ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عافَيْتَ، وَلَئِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ".

رَوَى الْحافِظُ أَبُو نَعِيمٍ: لَمَّا تُوُفِّيَ ذَرُّ بْنُ عُمَرَ الْهَمَدانِيُّ، غَسَّلَهُ أَبُوهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ باكِيًا، وَقالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ وَعَدْتَنِي الثَّوابَ إِنْ صَبَرْتُ، اللَّهُمَّ ما وَهَبْتَهُ لِي مِنْ أَجْرٍ فَاجْعَلْهُ لِذَرٍّ صِلَةً مِنِّي، وَتَجاوَزْ عَنْهُ، فَأَنْتَ أَرْحَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لِذَرٍّ إِساءَتَهُ، فَهَبْ لَهُ إِساءَتَهُ، فَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنِّي وَأَكْرَمُ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَدُمُوعُهُ تَقْطُرُ عَلَى لِحْيَتِهِ.

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ ماؤُها * * * وَلَـكِـنَّـهـا رُوحٌ تَسِـيـلُ فَـتَقْـطُرُ

فَانْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ: "يا ذَرُّ قَدِ انْصَرَفْنا وَتَرَكْناكَ، وَلَوْ أَقَمْنا ما نَفَعْناكَ، وَرَبَّنا قَدِ اسْتَوْدَعْناكَ، وَاللهُ يَرْحَمُنا وَإِيَّاكَ".

عِبادَ اللهِ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَ رَبِّنا بِقَدَرٍ وَأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْيَصْبِرْ مَنْ أُصِيبَ بِفَقْدِ عَزِيزٍ وَلْيَحْتَسِبْ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَرْحَمَ مَوْتَى المسْلِمينَ، وَأَنْ يُكْرِمَ نُزُلَهُمْ وَيُوَسِّعَ مُدْخَلَهُمْ وَيَغْسِلَهُمْ مِنْ خَطاياهُمْ بِالماءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَيُنَقِّيَهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطايا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَيَعْفُوَ عَنْهُمْ وَعَنَّا أَجْمَعِينَ، وَيُعامِلَهُمْ بِالْحَسَناتِ إِحْسانًا وَبِالسَّيِّئاتِ عَفْوًا وَغُفْرانًا، وَيَتَقَبَّلَهُمْ فِي الصَّالِحِينَ، وَيَجْعَلَ قُبُورَهُمْ رَوْضَةً مِنْ رياضِ الْجَنَّةِ، وَأَنْ يُبْدِلَهُمْ دُورًا خَيْرًا مِنْ دارِهِمْ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ فِي حِرْزِكَ وَجِوارِكَ فَقِهِمْ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذابَ النَّارِ، اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِيهِمْ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَاجْمَعْهُمْ بِأَهْلِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجِنانِ، مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، اللَّهُمَّ أَلْهِمْ أَهْلَهُمُ الصَّبْرَ وَالسُّلْوانَ، وَأَنْزِلِ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِهِمْ.

اِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ: أَنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ، وَثَنَّى فِيهِ بِمَلائِكَتِهِ، وَثَلَّثَ بِكُمْ مَعَاشِرَ المؤْمِنِينَ، فَقَالَ جَلَّ قَائِلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللَّهُمَّ صَلِّ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالمسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمشْرِكِينَ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ الـمَهْمُومِينَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ الْـمَكْرُوبِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِيْنِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ هَذا البَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا رَخَاءً سَخَاءً وَسَائِرَ بِلادِ المسْلِمينَ. اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَينِ الشَّرِيْفَينِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى. اللَّهُمَّ أَعِنْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ وَأَعْوَانَهُ وَوُزَرَاءَهُ عَلَى كُلِّ مَا فِيْهِ صَلَاحُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ يَصْبِرُ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَيَرْضَى بِالْقَضاءِ، وَيَشْكُرُ عِنْدَ النَّعْماءِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنا لَكَ ذَكَّارِينَ، لَكَ شَكَّارِينَ، إِلَيْكَ أَوَّاهِينَ مُنِيبِينَ، تَقَبَّلْ يا رَبِّ تَوْبَتَنا، وَاغْسِلْ حَوْبَتَنا، وَأَجِبْ دَعْوَتَنا، وَثَبِّتْ حُجَّتَنا، وَاسْلُلْ سَخائِمَ صُدُورِنا، وَعافِنا وَاعْفُ عَنَّا، وَعَلَى طاعَتِكَ أَعِنَّا، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾